

واسرائيل بوجه عام لا تملك ولم تألف ان تترك مصائرهما لاطراف اخرى غيرها ، او لعوامل لا تملك السيطرة عليها . ولا بد لها ان تتدع لنفسها « عنصر ردع مطلق » كفيل بتعويض ما فقدته بعد زوال تفوقها العسكري السابق . ولم يعد من الممكن ان تضمن هذا التفوق داخل اطار الاسلحة التقليدية ، ذلك ان الاطراف المتحاربة جميعها في حرب اكتوبر قد اثبتت انها تجيد استخدام ارقى اسلحة تقليدية تنتجها اكثر دول العالم الصانعة للسلح تقدما . ومن هنا لا بد ان تتجه اسرائيل الى حماية وجودها بالاعتماد على السلح النووي ، والتصعيد بمعادلة السلح في المنطقة الى المستوى النووي ، سواء كحقيقة قائمة ، او كحقيقة كامنه . وهناك شواهد تدل منذ وقت غير قصير على ان اسرائيل لم تكف عن محاولة صنع قنبلتها الذرية الخاصة . والامر الذي لم يعد من الممكن اغفائه على اي حال ، هو ان السلح الذري ، لو ظل حتى الآن في نظرية الامن الاسرائيلية ، سلحا احتياطيا ، من شأنه ان يصبح في غيبة تفوقها المطلق السابق بالاسلحة التقليدية ، سلحا اساسيا ، ومن هنا ، يصح القول بأن النزاع العربي الاسرائيلي بسبيله ان يدخل عصر الذرة ، بكل ما ينطوي عليه هذا التحول من معان في مجال الحرب ، وفي مجال السياسة والدبلوماسية على حد سواء .

والواقع ان « دبلوماسية الذرة » قد هيمنت على مقدرات النزاع العربي الاسرائيلي منذ عدد من السنوات ، وخاصة اثناء حرب اكتوبر . ولكن لم تكن « دبلوماسية الذرة » عنصرا مؤثرا في النزاع وقتذاك نتيجة امتلاك الاطراف المتحاربة اسلحة نووية ، بقدر ما القت بظلالها بمقتضى توازن الاسلحة النووية لدى اطراف القمة المعنية بالنزاع والمورده للسلح .

لقد انتجت « دبلوماسية الذرة » - دوليا - ما اصطلحنا على تسميته - عربيا - « بالوفاق الدولي » ، وان كان المصطلح تعوزه الدقة . ان بلوغ سباق السلح بين اقوى دول العالم الرأسمالي والعالم الاشتراكي المستوى النووي قد فرض على الطرفين معا ابرام اتفاقات تجهد اشكالا محددة من الصراع بينهما . ذلك انه لأول مرة في التاريخ ، اصبح في طاقة الطرفين معا انتاج اسلحة تصل قدرتها التدميرية الى حد افناء البشرية بأسرها ، لا مجرد هزيمة القوة العسكرية للخصم . انطلاقا من هذه الخاصية الجديدة للصراع العالمي ، نشأت دبلوماسية من نوع جديد ، ما اصطلح على تسميته في المغرب « بدبلوماسية الذرة » ، اي علم ادارة النزاعات وضبطها حتى لا تتصاعد فوق حد معين .

ان الوفاق الدولي او « دبلوماسية الذرة » لا تلغى الصراعات الدولية ، وانما تجهد اشكالا محددة من هذا الصراع ، وبالذقة ، واشكال الصراع التي تعود ممارستها على كافة الاطراف المعنية باضرار تفوق الفائزة التي يجنيها منها اي طرف . ان الحرب الذرية نموذج بارز لشكل من اشكال الصراع التي ينطبق عليها الوصف السابق . ولكن الصراعات الدولية بوجه عام لا تقبل التجسيد . واشكال الصراع القابلة للتجسيد مقصورة على دائرة محدودة تماما . وبوجه عام ، فليس التناقض هو الذي يزول ، بل بعض اشكال ممارستها ، لتجري هذه الممارسة بأشكال اخرى تحل محلها .

هنا يمكن القول بأن « دبلوماسية الذرة » لا تفضي الى الفناء التناقضات ، ولكن الى « اعادة ترتيبها » ، بمعنى ان التناقضات تبرز مرة اخرى في صور مخالفة لصورها السابقة . و « دبلوماسية الذرة » على الصعيد الدولي تجري ممارستها